شــرح

كشف الشبهات

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

شرح فضيلة الشيخ

محمد ابن عبد اللّه المالكي

قَالَ المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كَانَ المُشْرِكُونَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لأَنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ ﷺ وَالقُرْآنِ وَإِنْكَارِ البَعْثِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ، فَما مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ - وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ - ثُمَّ ذَكَرُوا أنواعًا كَثِيرةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْها يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَها -، مِثْلُ كَلِمَةٍ يَذْكُرُها بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ المزاح وَاللَّعِبِ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول: (إِذَا كَانَ المُشْرِكُونَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لأَنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ ﷺ وَالقُرْآنِ وَإِنْكَارِ البَعْثِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ، فَما مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ) يعني (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ - وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ).

قوله: (الأَوَّلُونَ) يريد بهم كفار قريش، إذا كانوا لم يكفروا يعني بعد أن ذكر هو، قال هناك: (وبنو عبيد ابن القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدَّعون الإسلام، ويُصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه) يعني من النزاع بيننا وبين من يدَّعون الإسلام وهم يدْعُون غير الله، ويصرفون له العبادة.

قال: (مع ذلك أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاها المسلمون حتى استنفذوا ما بأيديهم من بُلدان المسلمين).

قال: (ويُقال أيضًا: إذا كان الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لأَنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ ﷺ وَالقُرْآنِ وَإِنْكَارِ البَعْثِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ) يعني يقول: إذا كان الأولون كفرهم؛ لأنهم جمعوا يعني قريش جمعوا بين الشرك؛ لأنهم عبدوا الأصنام، وتكذيب الرسول، وتكذيب القرآن، وإنكار البعث، لأنهم

قالوا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية:٢٤]، يقول: إذا كان هذا هو الكفر بس لا يكفر الإنسان إلا جمع هذه، يقول: إذًا ما معنى الباب الذي ذكره أو ذكر العلماء في كل مذهب يعني مذاهب الإسلام مثل الحنفية والمالكية والشافعية، كل علماء المذاهب لما كتبوا الكتب جعلوا هذا في كتب الفقه جعلوا بابًا في كتب الفقه مع أن هذه مسألة عقدية (المرتد) لكن جعلوها في كتب الفقه، العلماء لهم تصرفات لا يفهمها إلا مَنْ درس أساليب أهل العلم، يعني مثلًا علماء العقيدة يجعلون في كتب العقيدة (باب المسح على الخفين) مع أن هذه مسألة فقهية، لكن لماذا يجعلونها هناك؟ لبيان مخالفة الرافضة في ذلك، وفي كتب الفقه يضعون (باب حُكم المرتد) مع أن هذه مسألة ليست فقهية هذه مسألة عقدية، لكن وضعوها هنا لبيان أمور يكفر بها الإنسان قد يكون لها تعلق بالفقه، ولأجل أهمية الأمر وخطورته.

قال: (**وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ**) ارتدَّ أي رجعَ للوراء، كان في السابق في ذلك المكان كافرًا، ثم تقدم إلى الإسلام، فلما أتى بهذا النَّاقض من نواقض الإسلام سُمي مرتدًّ؛ لأنه ارتد ورجع إلى الوراء، فيقول: إن كان الكفر لا يكون كفرًا إلا بجمع هذه الأمور العظام الشرك وتكذيب الرسول ﷺ وتكذيب القرآن، وإنكار البعث، إن كان الكفر لا يكون إلا بهذا إذًا ما معنى: إيجاب (باب حُكم المرتد) في كتب الفقه في المذاهب كلها، ما معنى ذلك؟ هذا من الأمر المُحال.

قال: (**ثُمَّ ذَكَرُوا أنواعًا كَثِيرةً**) يعني من أنواع المرتدين، كيف تكون الرِّدة، ذكروا أنواع كثيرة من أنواع الردة وأسباب الردة.

قال: (**كُلُّ نَوْعٍ مِنْها يُكَفِّرُ**) صاحبه الذي ارتكبه (**وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ**) الذي ارتكب هذا الكفر يحل دمه بأن يكون مُباح الدم، وهذه الإباحة للدم هي متعلقة بالوالي، ليس لآحاد الرعية أن يقتلوا المُرتدْ، وإنما هذا من أعمال الوالي، لكن الوالي ليسَ عليه ذنبٌ في قتلِهِ، بل هو هذا واجبه أنْ يقتل من ارتدَّ –حمايةً للدين– وإلا صار الدِّين ألعوبة يدخل من شاء ويخرج متى ما شاء، فلذلك جُعل هذا للوالي بأن يقوم بصيانة العقيدة الإسلامية، وحفظها من هذا التلاعب، بجعل دم من ارتد حلالًا له، وكذلك (**وَمَالَهُ**) يعني

يُصادر ماله ويذهب به إلى بيت مال المسلمين.

قال: (حَتَّى إِنَّهُمْ) يعني العلماء علماء المذاهب (ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرةً) هو لا يريد أنها يسيرة هو قال: يسيرة (عِنْدَ مَنْ فَعَلَها) هو يراها صغيرة كالذين قالوا: «ما رأينا مثل قراؤنا أكبر بطونًا وأجبن عند اللقاء» لما نزل قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ يعني رأوها كلمة صغيرة، والله ﷻ يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥].

قال: (مِثْلُ كَلِمَةٍ يَذْكُرُها بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ) يعني لا يعتقدها بقلبه، كما جاء في الحديث: «رب كلمةٍ يقولها قائلها لا يُلقي لها بالًا تهوي به في النار سبعين خريفًا».

وقوله: (أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ المزاح وَاللَّعِبِ)، يعني كالذي يمزح فيقول عن نفسه أنه يهودي، ليس فيها مزح إن قال عن نفسه أنه يهودي أو نصراني أو التحق بأي دين، ولو على سبيل المزح فإنه يكفر ويرتد، أو اللعب يلعب مع أحد وقالها غير عازم فإنه يكفر بها، فإذا كان هذه الأشياء التي هي يسيرة عند من فعلها تُحل دمه وتُخرجه من الإسلام، فكيف بالذي يصرف العبادة باعتقادٍ وبصدق لجوءٍ إلى غير الله، وبتوقيرٍ وتقديرٍ واحترامٍ كيف لا يكون كافر؟ هذا شيء عجيب.

قَالَ المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِين قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [التَّوبة:٧٤]، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ؛ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوحِّدُونَ اللهَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٦] فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُم: تُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؛ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيَحُجُّونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

قال الشارح وفقه الله:

قال رحمه الله تعالى: (الشُّبهة السابعة) (وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِين قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [التَّوبة:٧٤]) قيل: إن هذه الآية نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، ووديعة بن ثابت رجلانِ كانا على عهد النبي ﷺ، وذلك أنه لما كثُر نزول القرآن في غزوة تبوك في شأن المنافقين وذمهم، فقال: «لئن كان محمدٌ صادقًا على إخواننا الذين هم ساداتُنا وخيارُنا لنحنُ شرٌ من الحمير» فقال له عامر بن قيس: «أجل والله إن محمدًا لصادق، وإنك لشرٌ من الحمار».

وأخبر عامرٌ بذلك النبي ﷺ وجاء الجلاس فحلف بالله أن عامرًا لكاذب، يعني يقول: ما قلت هذا الكلام، وحلف عامرٌ لقد قال، وقال: «اللهم أنزل على نبيك شيئًا» فنزلت هذه الآية، وهي قوله تعالى: (﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [التَّوبة:٧٤]) فالله عدَّها كلمة كفر، ماذا قالوا؟ قالوا: لئن كان محمدٌ صادقًا على إخواننا الذين هم ساداتُنا وخيارُنا لنحن شرٌ من الحمير».

هذه الكلمة الله ﷻ ذكر أنها كفرٌ وردة، وسبب خروجهم من الإسلام.

وقيل: إن الذي سمع ذلك هو عاصم بن عدي، وقيل: حذيفة، وقيل: بل سمعه ولد امرأة الجلَّاس، واسمه: عُمير بن سعد، فهمَّ الجلاس بقتله لئلا يُخبر به.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أُبي بن سَلول رأس المنافقين، لما قال: ما مثَلُنا ومثلُ محمد إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك.

وقوله: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، فأُخبر النبي ﷺ بذلك وجاء عبد الله بن أبي فحلف أنه لم يقل، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]، وقيل: إنه قول جميع المنافقين، يعني جميع المنافقين قالوا ذلك، وأن الآية نزلت فيهم.

قد تكون كل هذه الوقائع الثلاث حصلت، ونزلت الآية، لأن بعض القرآن نزل عدة مرات لمناسبات متشابهة فنزل.

قال الشوكاني: وعلى تقدير أن القائل واحد أو اثنان، فنسبة القول إلى جميعهم هي باعتبار موافقة من لم يقل ولم يحلف من المنافقين لمن قال وحلف، يعني لما قال الله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ﴾ هذا جمع، والذي تكلم هو واحد، وربما الذي قال واحد أن هناك قال الجلاس بن سويد، والجلاس بن سويد الذي قال: وقيل: إنه عبد الله بن أُبي، إذًا هو واحد، لكن كان معه أُناس سمعوه ورضوا وسكتوا، والله ﷻ قد حذر من الذين يجلسون مع مَن يخوض في آيات الله، واعتبره مثله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨] . وفي الآية الأخرى قال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠] يعني في الجُرم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠] ، فسواءٌ كان القائل واحد أو قالوها كلهم، ولكن في الأصل أن القائل دائمًا يكون واحد، إنما

الآخرون كانوا مستمعين استماع قبول، فهم في الوزر سواء، هم شركاء في ذلك.

الحاصل أن مثل هذه الكلمات، مثل كلمة الجلاس بن سويد: «لئن كان محمدٌ صادقًا عل إخواننا الذين هم سادتنا وخيارنا فنحن شرٌ من الحمير».

أو كانت كلمة عبد الله بن أُبي بن سلول الذي قال: ما مثلُنا ومثلُ محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك.

وقوله: (لئن رجعنا إلى المدينة).

الذي قال واحد، لكن الآخرون سمعوا ورضوا من المنافقين، فحُكم عليهم جميعًا.

فهذه أيضًا شُبهة يوردها هؤلاء الضُّلال عُباد القبور، فيُرد عليهم بمثل هذا: إن كان كلمة أخرجته من الدين مع أنهم كانوا مع النبي ﷺ خاصةً الذين نزل قول الله ﷻ فيهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]، هؤلاء كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه بإسنادٍ حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلسٍ يومًا: ما رأينا مثل قراؤنا هؤلاء أرغبُ بطونًا ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجلٌ في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق لأُخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن.

قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه يعني تضربه في رجليه وتسيل الدم وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:٦٥].

وأيضًا ورد في ذلك أحاديث أخرى كما جاء عند ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة مرسلًا قال: «بينما رسول الله ﷺ في غزوةٍ إلى تبوك وبين يديه أُناسٌ من النافقين فقالوا: أيرجو هذا الرجل –يعنون النبي ﷺ– أن تُفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات، يعني يقولون: بعيد المنال، وهذا الرجل طموحه غير معقول، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال نبي ﷺ: «احبسوا عليَّ هؤلاء الركب» يعني

امسكوهم واجمعوهم، فأتاهم النبي ﷺ فقال: قُلتم كذا، قالوا: يا نبي الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيهم ما تسمعون. يقول ابن عمر.

وكذلك أخرج ابن جرير نحوه مرسلًا أيضًا عن محمد بن كعب، وزيد بن أسلم.

علق الشوكاني على هذا قال: وقد روى نحو هذا من طُرق عن جماعةٍ من الصحابة.

إذًا الله ﷻ قال عنهم أنهم كفروا، قال: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦] أي أظهرتم الكفر بما وقعَ منكم من الاستهزاء المذكور، بعد إيمانكم أي بعد إظهاركم الإيمان مع كونكم تبطنون الكفر، فهم منافقون كانوا يُبطنون الكفر في قلوبهم، ويُظهرون الإيمان على ألسنتهم، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

قال رحمه الله تعالى: (**فَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلى وَجْهِ المَزْحِ.**

فَتَأَمَّلْ هُذِهِ الشُّبْهَةَ) لأنهم هم يقولون: تُخرجون الناس مُصلين صائمين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله تُخرجونهم من الإسلام بفعلهم هذا، يقولون: هذا غير مُمكن وغير معقول سبحان الله، وهؤلاء الذين هم في عِداد الصحابة، لو شئنا، في عِداد الصحابة، بل أنهم كانوا مع النبي ﷺ وخرجوا معه إلى غزوة من أشد الغزوات التي خاضها النبي ﷺ بعيدة المكان شديدة الحر قليلة المطر، أو عديمة المطر ما في ماء كان صعب جدًا الوقت، ومع ذلك خرجوا، لكن خرجوا مع النبي ﷺ بأبدانهم وهم معه خرجوا من إيمانهم انسخلوا من إيمانهم بكلمة.

قال: (فَتَأَمَّلْ هُذِهِ الشُّبْهَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُم: تُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ) يعني مَن يصح أن يُقال: إنه مُسلم راسخٌ هؤلاء أم أولئك الذين كانوا مع النبي ﷺ يعني هل كانوا مع النبي ﷺ والنبي يؤم الصحابة في غزوة تبوك وهؤلاء جالسين على جنب ما يُصلون؟ هذا غير منطقي، هؤلاء كانوا يُصلون خلف النبي ﷺ، ومع ذلك هذا لم يُسلمهم من الكفر لما قالوا كلمة، فكيف بالذي يصرف حق الله جل وعلا لغير الله، ويُقال: إنه مسلم لأنه يشهد أن لا إله إلا الله ويُصلي ويصوم،

هذا لا يكفيه، لابد من إخلاصها لله، فإذا داخلها الشك لم تعد تلك العبادة صالحة، وليس لله فيها شيء كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». ما قال: آخذ نصيبي وأدع لهم آخر لا، كله الشرك يُحبط، ولو أشركا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، والله ﷻ يُخاطب نبيه ﷺ يقول له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] فكيف يأتي هذا ويُشرك بالله ﷻ، ثم يدَّعي بأنه مُسلم، لأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنه يُصلي ويصوم لا، هذا لا يكفي، نعم إن كان جاهلًا يُعلم، لكن العمل يُسمى كفرًا شركًا العمل يُقال له: أتيت كفرًا، فاتق الله، ويُعلَّم فإن أصر فيُقال له: كافرٌ أتيت كافرٌ، من أول كنت جاهلًا أتيت كُفرًا، أما الآن فأنت كافرٌ أتيت كُفرًا، بعد أن عُلم.

قال: (**ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا**) يعني تأمل كيف يكون رد هذه الشبهة (**فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَٰذِهِ الأَوْرَاقِ**) الذي هي الرسالة رسالة كشف الشبهات.

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَٰلِكَ أَيْضًا: مَا حَكَى اللهُ ﷻ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ - أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿أَجْعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا﴾ [الأعراف:١٣٨]، وَقَالَ أُنَاسٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: «ٱجْعَلْ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»؛ فَحَلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ هَٰذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِـمُوسَى: ﴿أَجْعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا﴾.

وَلكن لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَٰذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَٰلِكَ، وَكَذَٰلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ ذَاتَ أَنْواطٍ لَمْ يَكْفُرُوا.

فَالجَوَابُ: أَنْ تَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَٰلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا ذَٰلِكَ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لا خِلافَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ وَٱتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَٰذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح وفقه الله:

يعني هم يحتجون بمثل هذه الحجج فيقول الإمام ردًا عليهم: (وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَٰلِكَ أَيْضًا) يعني على أنهم يكفرون ولو شهدوا أن لا إله إلا الله، لأن الشهادة لا يعني شهادةً بالجنة مضمونة، بل يعني التزامًا بالعقيدة الصحيحة، فمن لم يلتزم بها خرج عن هذه الكلمة التي دخل بها.

فيقول: من الأدلة على ذلك (مَا حَكَى اللهُ ﷻ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ) هم أسلموا مع موسى، وإلا لماذا فرعون تبعهم، إلا لأنهم أسلموا، ومنهم السحرة الذين قالوا لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه:٧٢]، فهم اختاروا أن يكونوا مسلمين مع موسى، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الشعراء:٤٧-٤٨]. فهؤلاء القوم خرجوا مع موسى فرارًا بدينهم هؤلاء مسلمون، لكن لما رأوا بعد أن خرجوا من اليَمّ وأتوا إلى اليابسة فوجدوا أُناسًا هناك يعكفون على أصنامٍ لهم يعكفون على آلهة اتخذوا

عجلًا، فقالوا: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، هل هم اتخذوا؟ لا، هم طلبوا من موسى ظنًا منهم أن هذا جائز، كما فعلَ ذاكم الرجل الصحابي الذي هو من مسلمة الفتح وهو حديث عهد، الآن هو ترك الشرك وعبادة هُبل واللات والعزى، وجاء إلى الإسلام، فهو لا يُريد أن يُشرك، لا يُريد الشرك، لكن ظن أن هذا ليس شركًا، وأنه جائز، فلذلك طلب من النبي ﷺ أن يُخصص لهم شجرة يُعلقون عليها أسلحتهم كما يفعل الكفار حتى تحصل لهم البركة، فإذا رموا بسهامهم أصابت، وإذا ضربوا بسيوفهم قطعت، وهكذا. فقال لهم النبي ﷺ وحلف على ذلك لما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: «اجعل لنا إلهًا». وهذا الحديث معروف حديث الذي في الترمذي حديث أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حُنين مر بشجرةٍ للمشركين يُقال لها: ذات أنواط، يعني ذات معاليق الأنواط جمع نوط وهو ما يُعلق عليه، يُعلقون عليها أسلحتهم، يعني للبركة، يظنون أنهم إذا علقوا أسلحتهم على هذه الشجرة، فكل سلاحٍ يؤدي ما يُراد منهن فإن كان سهمًا اخترق، وإن كان رُمحًا أيضًا اخترق، وإن كان سيفًا قطع.. وهكذا.

فقال: (**اجْعَلْ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»؛ فَحَلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿أَجْعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا﴾**). والحديث عند الترمذي وحسنه الألباني في تحقيق السنة لابن أبي عاصم.

وهنا فائدة ذكرها بعض أهل العلم في هذا الحديث أن فيه قولان:

الأول: أنهم إنما طلبوا من النبي ﷺ مُجرَّد مُشابهة المشركين في تعليق أسلحتهم على الشجرة، يتخذونها لذلك فقط مُجرد تعليق، ومشابهة الكفار منهيٌ عنها، ولذا أغلظ النبي ﷺ عليهم، وعلى هذا حمل الشاطبي الحديث يعني قال: هم ما أرادوا أنها بركة أو كذا، أو أرادوا أنها إله يعبدونها، إنما أرادوا أن يفعلوا مثل الكفار، وهذا المحمل حمَّله الشاطبي وكذلك شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم".

القول الثاني للعلماء في هذا الحديث: أنهم طلبوا شجرة يعكفون حولها ويتبركون بها كما يفعل

المشركون، وهذا شركٌ أكبر، وعليه جرى كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب هنا خلافًا لما قرره في كتاب التوحيد، فإنه شركٌ أصغر، هناك في كتاب التوحيد أراد ضرب المثل للشرك الأصغر الذي هو النوع الأول الذي هو التبرك، التبرك بما لم يثبت نصًا عن النبي ص أنه سبب في البركة يكون شركًا أصغر.

وأما النوع الثاني الذي ذكره العلماء حول هذا الحديث وهو أنهم يُريدون العكوف عند الشجرة والتبرك بها وكذا، يعني الأول اتخاذ ما ليس سببًا سبب، وكان هذا شركًا أصغر، وأما اعتقاد أنها تصنع وتُعطي وتفعل، فإن هذا يكون شركًا أكبر، إذًا هناك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد أورد حديث أبي واقد الليثي للاستدلال على الشرك الأصغر، وهنا في كشف الشبهات أورده على الشرك الأكبر، يعني الشرك الأكبر، وعليه جرى كلام الشيخ هنا خلافًا لما قرره في كتاب التوحيد من أنه شرك أصغر.

وكذلك ابن القيم في "إغاثة اللهفان" حيث ذكر أن اتخاذ هذه الشجر والعكوف حولها اتخاذ إلهٌ مع الله، مع أنهم لا يدعون هذه الشجرة حتى الكفار لا يدعون هذه الشجرة، ولكن اتخذوها بعكوفهم حولها اتخذوها إلهًا مع الله، ولهذا صار شركًا أكبر.

وكذلك نحا هذا المنحى الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ في "تيسير العزيز الحميد" والعلماء على كل حال لهم كلام كثير حول هذا الحديث، لكن هذا ملخصه.

إذًا الخلاصة فيما قاله، قال: فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ما فعلوا أصلًا، لم يذهبوا يصنعوا إلهًا، ولا مسلمة الفتح ما فعلوا أيضًا ما ذكروه من أنهم يُريدون الشجرة ينوطون بها أسلحتهم، لكن طلبوا فقط ولم يفعلوا.

وكذلك يقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا لكفروا، في أحد يُخالف في هذا؟ لو أن بني إسرائيل اتخذوا إلهًا يكفرون أم يبقون على الإسلام؟ سيفكرون، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه لما قال لهم: أوَّه،

لقد قُلتم كما قالت بني إسرائيل لموسى: «اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة».

لو لم ينتهوا، لو ذهبوا إلى الشجرة وعلقوا عليها أسلحتهم لكفروا، لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب بيانه أن الإنسان بعد أنْ يعلم أن هذا الأمر ضد التوحيد، ثم يرتكبه فإنه يكفر، والآن عرفوا أن الذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والدعاء والعكوف عند قبر أو عند شجر أو عند حجر، والطواف والسجود والركوع هذه أعمال لا تكون إلا لله وحده، وعلى وفق ما بين في كتابه وبين رسوله ﷺ فإن خالف هذا وصرف شيء من هذا لغير الله، وعلى غير ما بُين له، فإنه عندئذٍ يكون خرج من دائرة الإسلام ويكفر.

قال: (وهذا هو المطلوب) (**وَللكن هٰذِهِ القِصَّةَ تُفِيدُ أَنَّ الـمُسْلِمَ - بَلِ العَالِـمَ - قَدْ يَقَعُ فِي أَنْواعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا يَدْرِي عَنْها؛ فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ والتَّحَرُّزَ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ**) لأن بعض الناس يقول هذا حتى عندنا هنا في بلادنا في السعودية، بعض الذين كانوا يتبجحون بأنهم دعاة التوحيد، واتضح أنهم أجهل من حمير آباءهم لا يفهمون في التوحيد شيئًا. قال قائلهم: يُريد صرف الناس عن دراسة العقيدة والتوحيد إلى الكلام في السياسة.

قال: التوحيد يكفي في فهمه عشر دقائق، سبحان الله! ما أحد يستخف بأمر التوحيد إلا ويفضحه الله، هذا الرجل الذي قال هذه الكلمة كان في أول الأمر يُكفر المغنيين الذي يُغني وهذا فسقٌ وكبيرة من كبائر الذنوب، أهل السنة لا يكفرون عليها، لكنه يُكفَّر، وله شريط فُرغ كتابًا وطُبع ونُشر في هذا، ثم بعد مُدة فإذا به ما ترك أصحاب نحلة فاسدة إلا وذهب إليهم وأعلن الصفاء والصداقة والمحبة والولاء لهم، ذهب إلى الرافضة وتصوَّر مع كبيرهم، وأثنى عليهم في كلام مسجل موجود في اليوتيوب، وذهب إلى غُلاة الصوفية وآزرهم وواساهم بفقد كبيرهم، وذهب حتى إلى الليبرالية ودافع عنهم حين أُخذ وسُجن وأخذ يُناضل عنهم، ويقول عن التوحيد في نفس الوقت يكفي فيه عشر دقائق سبحان الله!

هذا يقول: (**فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ والتَّحَرُّزَ**)، لأن الإنسان قد يقع حتى لو كان عالمًا قد يقع في بعض الخلط، لكن يتعلم الإنسان وأيضًا يتحرز ويحتاط وينتبه.

قال: (وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ). أن يقول الإنسان: أنا أعرف التوحيد، الآن كثير من الشباب يقولون: هكذا أنا عرفت التوحيد، طيب ماذا تفعل، ماذا ستفعل إذا عرفته تُريد خلاص اكتفى من التوحيد، ثم يترك التوحيد ويذهب يشتغل في السياسة ويشتغل في أشياء وإذا به يقع في مناقضات التوحيد، وما أحد ترك العناية بالتوحيد إلا وقع في ضده من الشرك والكفر والعياذ بالله.

نسأل الله العافية والسلامة.

وقوله: (وَتُفِيدُ أَيْضًا: أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلامٍ كُفْرٍ، وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ فَنُبِّهَ) يعني لا يُكفر، وإنما الكلام كلام كفر يُقال: إن هذا الكلام كفر، هذا فعل كفر، لكن لا يُكفر فاعله وقائل.

قال: (فنُبه) لكنه يُنبه، يُعلم برفق ولين واحترام، وإسرار لا يُشهر به حتى لا يُعظم الشيطان ذلك في نفسه، قال: (فَنُبِه عَلَى ذَٰلِكَ، وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ)، وهذا خير دليل يقولون: الشيخ محمد بن عبد الوهاب يُكفر المسلمين هذا كلام باطل هم يريدون أنْ من وقع في الكفر حقيقةً الذين هم يفعلونه ألا يُكفر، سبحان الله، وأن الفعل نفسه لا ينبغي أن يُسمى كفرًا، بل يُسمى عين التوحيد، هذا الذي يريدونه من أجل إفساد ما جاء به النبي ﷺ فهو يُسمى فنُبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل لما نبههم موسى عليه السلام توقفوا، والذين سألوا النبي ﷺ أيضًا توقفوا لما قال النبي ﷺ: «إن هذا مثل قول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهًا» هذا أيضًا قال: هؤلاء أيضًا توقفوا، فلم يكفروا.

قال: (وَتُفِيدُ أَيْضًا) أنه لو لم يكفر، فإنه يُغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا النبي ﷺ هؤلاء الذين قالوا ما قالوا ما كفروا، لكن النبي ﷺ غلَّظ عليهم القول، وليس هم فقط، هناك حوادث أخرى الذي جاء فقال: ما شاء الله وشئت يا محمد، هذا ما أراد شركًا هذا مسلم ترك عبادة الأوثان، لكنه ظن أن هذا صحيح وجائز، فالنبي ﷺ أغلظ عليه القول، انظر سبحان الله هذه كلمة معلوم النبي ﷺ يعرف يقينًا أن الرجل ما أراد الشرك، لكنه شدد عليه، ماذا قال؟ قال: «أجعلتني لله ندًا، قل ما شاء الله وحده».

الرجل الآخر الذي رأى في يده حلقة من صُفر، قال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، وإنك إن مت

وهي عليك ما أفلحت أبدًا»، غلظة تغليظ القول لماذا؟ لأن المقام مقام بقاء على الإسلام أو خروج، ليس سهلًا، لكن لما جيء له بالرجل الذي يشرب الخمر مرارًا وهو حمار بن عياض، فجيء به مرارًا فقال رجلٌ من القوم: ما أكثر ما يُجاء به؟ قال: إنه يُحب الله ورسوله.

الناس الآن يُعظمون مسألة كبائر الذنوب، ويتساهلون في الشرك وما يناقض التوحيد، فهذا من عجيب ما تسمع وترى من الناس.

قال: كما فعل رسول الله ﷺ مع مسلمة الفتح الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط.

انتهت الشبهة.